الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

الله نور السموات والارض

للاستاذ حسنى طه شكيبان

١ ـ كون النور والضياء

الفصل الثالث :

حلقة جديدة من البحث الكريم ـ الحقيقة المحمدية والعلم الحديث ـ تأتى فى زمانها متقدمة عن مكانها فى الترتيب الطبيعى ـ نقدمها لدعاة المادية والملحدين أو المفتونين بدعاتها والغارقين فى شهواتها وزخارفها وآثامها من الشيوعيين والطبيعيين وأضرابهم

ثم نهديها لمن ظنوا القرآن الكريم كتاب هداية فقط ، أو بلاغة وفصاحة فحسب ليروا فيها أنه كتاب علم وحكمة ٠٠ كتاب الكون كله ، وصفحة الوجود بأسره ٠٠

الله نور السموات والأرض ٠٠

حقيقة رائعة قامت عليها وبها السموات والأرض ، وما فيهن ومن فيهن ٠٠

انها القانون الأول فى الوجود ، القانون الذى ينطوى فيه كل قوانين الوجود ٠ حقيقة كشف عنها العلم المادى فى روائع مدهشة من مظاهرها ، وهو بسبيل استكمال قواه للكشف عن مدلولاتها فى الكون العجيب ٠٠ أرضه وسمائه ٠٠ مادته وحياته ٠٠

الكون كله نور ٠٠ وما النور الا فرع الضياء ، واشعاع السراج ، وقبس من شمس الوجود الأعظم ـ رب الوجود ورحمن الوجود ونور الوجود ٠٠

الله نور السموات والأرض ٠٠

قضية الفكرى البشرى منذ كان والى الابد ٠٠

كان الله ولا شىء معه فأحب أن يعرف ، فأفاض الوجود من نوره قبسا كريما صور منه الكائنات والكون صورة رائعة على أبدع مثال من غير سبق أو نظير ٠ انها قضية الفتح الاكبر الذى أدركه الصوفية الكرام فعاشوا فى رحاب النور نور أنفسهم ونور هدايتهم ، ونور الوجود المحيط بهم ، ونور الله العظيم الموصول بأرواحهم ٠٠ فعاش الناس معهم فى أنوار ورحمات ٠

ثم هى قضية الفتح الاكبر الذى طلع على الانسانية منذ أعلن أنيشتين نظريته فى الذرة .. المادة تعادل الطاقة فى نظريته النسبية الخاصة ، ثم قام بتحقيقها عمليا الدكتور الطبيعى أوبنهيمر العالم المؤمن بمعانى الحق ، والذى يكفر عن خطيئته الكبرى فى الدير - اليوم - أو لعله فى العالم الاخر .

وليست خطيئته فى اختراع القنبلة الذرية تطبيقا لنظرية أنيشتين ، وانما فى كونه وضع هذه القوى الجبارة فى أيدى الحاقدين على الانسانية المتربصين بخيرها وسعادتها كل سوء وشر ، ، فيسوقونها من حرب الى حرب فى سبيل الأطماع المادية ، والرغبات الاشعبية .

ولكن - لا بأس - فان قضية النور والرحمة ستنتصر حتما .. قضية الخلود والرقى الموصول بآفاق الكمال .. قضية الترفع عن المادة - لا لأنها مادة .. فهى من النور ككل شىء - ولكن لأن المادة أقل طبقة فى النور والضياء ، فهى النور الذى جمد فسكن .. وأما غيرها ففى حركة تصعيد وسمو وترفع ونفاذ الى آفاق الوجود العليا ..

والسماء والطارق . وما أدراك ما الطارق . النجم الثاقب .

فالأرض مادة ومن النور .

ولكن السماء - مع أنها مادة - الا أنها من آفاق النور الرائع النفاذ .

الأرض قاعدة للسمو نحو آفاق لا تحد ، ووسيلة الانطلاق من جاذبيتها طارق جبار نفاذ يثقب آفاق السموات ، فهو على الأرض نجم ثاقب ..

وكما يثقب النجم الوهاج آفاق الكون المادى بضيائه للايين الفين - بلغت فى حد علمنا اليوم ألف مليون سنة ضوئية كما أعلن ذلك الدكتور بادن مدير مرصد بالومار بكاليفورنيا آخر سنة ١٩٥٣ م - فكذلك نور البصيرة فى أرض الكون البشرى .. أرض النور المتكاثف الذى سكن وجمد ثم هو لا يقف عند حد بل انه يثقب سموات الوجود حتى يصعد من فوق الوجود فى رحاب نور الوجود الأعظم .. الله نور السموات والأرض ..

أو كما قال الشيخ يوسف النساج لتلميذه امام الصوفية الفيلسوف وحجة الاسلام الغزالى : يا أبا حامد .. هذه ألواحنا فى البداية ، بل ان صحبتنى ستكحل بصيرتك بأثمد التأييد حتى ترى العرش ومن حوله ، ثم لا ترضى بذلك حتى تشاهد ما لا تدركه الأبصار ، فتصفو من الأكدار طبيعتك ، وترقى على طور عقلك ، حتى تسمع الخطاب من الله تعالى كموسى : « **انى أنا الله رب العالمين** » .

أو كما كان يعيش فى معناها سهل بن عبد الله التسترى فيجعلها ورده: **الله معى .. الله ناظر الى .. الله شاهد على .**

لا ٠٠ بل كما جعلها أستاذ الانسانية الأعظم ، وسراج الحياة المنير من رب النور « ليست هيئتكم كهيئتى ٠٠ انى أبيت عنـــد ربى يطعمنى ويسقين ٠ »

أجل لقد نفذ النجم الثاقب المقيم بين جنوبهم فى آفاق الوجود فثقب السموات السبع الطباق واخترق الآفاق حتى وصل الى نور الوجـــود ، وحقيقة الاشراق ٠٠ رب النور والضياء ٠٠ فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ٠٠ الله نور السموات والأرض ٠

وكيف لا يكون الكون نورا ، والله يقول : الله نور السموات والأرض ٠٠ وهو المبدع الاعظم ٠٠ لقد كنا ننتظر الوصول لهذه الحقيقة فى علوم المادة لو لم نصل اليها اليوم

فالعلم يقرر اليوم : أن الكون كله ٠٠ أرضه وسماءه ، من كواكب وأقمار ونجوم وشموس ومجرات وسدم ، واشعاع محيط بذلك ، وطاقات من القوة لا تدخل تحت مقاييسنا كل أولئك من النور ٠٠

ثم الأرض وما فيها من جماد ونبات وحيوان وانسان ٠٠ كل أولئك من النور ٠

ثم الانسان بمادته فى جسمه من لحم ودم وعظام وأعصاب من نور

ومن باب أولى ٠٠ معانيه فى اشراقات عقله ، وصفاء عواطفه ، ونفاذ بصيرته من النور

أما الروح فسر هذا النور ، وقانون الكيان الوجودى لكل كائن ٠ و ٠٠

تلكم يا قوم ـ حقيقة الحقائق ، وقانون القوانين ـ الذى نفتتـــح به عصورا من الحكمة والسعادة لتحقيق الكمال البشرى على الأرض ، ولاقامة ملكوت السموات فيها كما كان يبشر بذلك السيد المسيح عليه السلام فى دعواته ٠٠ ليأت ملكوتك يا أله ٠٠ وليقم فى الأرض ملكوت السموات

اننا ـ من خلال رسالة محمد العظيم ودعوته وأحاديثه ـ نفهم حقـــا رسالة النور فى كون النور «الكائنات كلها من النملة الصـغيرة فى باطن الثرى ٠٠ الى الفراشة الرقيقة على أوراق الورود الى الطائر الصداح عـلى أغصان الأشجار الى النجم الثاقب فى أعماق الفضاء ٠٠ الى الانسان الكريم فى مجال الحكمة والتسخير ٠٠ الكل من النور ٠٠ وان تدرج وتســامى بعضه على بعضه ٠٠ ولكل رسالة فى الوجود ٠٠ وكل أصوات الحق الاقدس ومظاهر للنور الأجل ٠٠ كل ميسر لما خلق له ٠٠ ليعطى الجمال فى كون النور والضياء ٠٠

الله نور السموات والأرض ..

وعلى الانسانية الرشيدة - حقا - أن تبحث فى طاقات هذه الانوار وامكانياتها ورسالتها فى الحياة لتوجهها فى سبيل اسعاد البشرية وترقيها وتحقيق الخلافة عن الله بتحقيق أروع صورة للجمال فى الأرض .. كما هى فى السماء .

حديث العناصر والنظرية الذرية فى القرآن .. وفى العلم ..

يقول العلم ان الأرض كوكب مظلم ، وأنه كان فى الأصل قطعة من الشمس أو من نجم آخر - انفصل منذ ملايين السنين ومعه هذه الكواكب السيارة من حول الشمس فى دوران مستمر حول نفسه وحول الشمس بفعل القوة الطاردة المركزية ، وأخذت عناصره تترسب فأخذ الاكسوجين والايدروجين يتحد فى طبقات الفضاء المحيط بالارض ، ثم أخذ فى التكاثف ثم السقوط أمطارا ما تكاد تلامس الطبقة العليا من الأرض فى حرارتها الكبرى حتى يتبخر ثانية وما يزال كذلك دهورا طويلة حتى بردت القشرة الأرضية فاستقرت عليها المياه وسكنت فى أعماقها ، ثم حدثت زلازل وبراكين - أو لعلها من قبل ذلك - اقتلعت من المحيط الهادى قطعة من الارض تعادل جزءا من ثلاثة عشر جزءا (١٣/١) وذهب الى الفضاء ليدور من حول أمه الأرض فكان القمر ، وكذلك أقمار الكواكب السيارة - تقريبا - ومرت على الأرض حقب لا تعد حتى تهيأت لاستقبال الحياة فى شكل أحياء طفيلية نباتية : طحالب ونبات على الشواطىء ثم أشجار ثم حيوانات مائية ثم برمائية ثم زواحف ثم حيوانات طائرة ومتوحشة

ثم أصبحت الارض مهيأة لاستقبال سيدها الاكبر فكان الانسان ..

ما أروع قصة الخلق هذه .. عند كل مرحلة ظهر لها ما يناسبها من ألوان الحياة .. فالمادة مهاد للحياة .. فلتأت الحياة فى كل طور وبما تتفق معه فى قوانينه ..

« كل ميسر لما خلق له » .. « **الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى** » « **الذى خلق فسوى . والذى قدر فهدى . والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى** »

أأنتم أشد خلقا . أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها .. (وفى النهاية جاء الانسان ..) « **متاعا لكم ولأنعامكم** .. »

ما أروع قصة الخلق ..

(يتبع)